وربَّما كان التباينُ الأساسي بين هذا اللون من النقد والنقد بمعناه الفني — أن الأول ، غالبًا ، ما يصاحب عملية الخَلْق والإبداع ، في حين أن الثاني يقفو أثر هذا الخلق وذلك الإبداع ؛ ذلك أن طبيعة التقويم لا يمكن أن تتم إلا لشيء سبق وجوده وتمامه . والحق أن هذين اللَّونين من النقد استمرارٌ مع مسيرة الفن الإنساني ، وتوازيًا مع عملية الإبداع الأدبي على مرِّ العصور .

والنقد باعتباره فرعًا من فروع المعرفة لا يمكن فصلُه وبَتْرُهُ عن بقية المعارف والعلوم ، التي توصَّل إليها الإنسان في تاريخه الطويل ؛ فمنذ القِدَم وتبادل المعارف قائم بين فروع العلوم المختلفة ، سواء في ذلك العلوم النظرية أو التجريبية . حقا إن الارتباط ، قديمًا ، قام بين النقد والعلوم النظرية وخاصة الفلسفة ، ولكن التوسع المطَّرد في تجارب الإنسان وخبراته أدى إلى ارتباط النقد في مراحله المتأخِّرة بالعلوم التجريبية ، يستقي منها منهجها ويفيد منها في التنظيم والتدقيق ، وتقديم المقترحات ، واستخلاص النتائج ، دون أن يؤدي ذلك إلى تداخل الاختصاصات أو اختلال الحدود .

وقد كان ارتباطُ النقد بالفلسفة في تاريخه المبكِّر دافعًا إلى اعتباره — في اليونان القديمة — أحد فروعها ، ولعل هذا يفسِّر لنا كيفية انتقال النقد اليوناني إلى العربية ؛ حيث يرجع الفضلُ في هذا النقل إلى فلاسفة العرب الذين ترجموا أفلاطون وأرسطو ، مع إضافات ارتأوها ، ومع شروح وتعليقات بقدر ما أسعفهم الفهم لهذا الفكر الجديد [1] .

ولم يقتصر ارتباطُ النقد على الفلسفة وحدَها ، بل امتد ارتباطه ليتصل بغيرها من العلوم اللُّغوية بكل مستوياتها النَّحْوية والصَّوتية والدَّلالية ؛

(١) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث . ط ٤ القاهرة ، النهضة العربية ، ١٩٦٩ . ص٣ .